

## مدينة بربر السودانية والروابط الثقافية للرحلة الحجازية دراسة وثائقية لرسائل السادة الكنتية

د. معتصم الحاج عوض الكريم  
الجامعة العالمية، الخرطوم، السودان.

### الملخص:

تتناول الدراسة العلاقات الثقافية بين أصقاع العالم الإسلامي المترامية الأطراف، وطرق الحج كأهم روافد تلك العلاقات، وإبراز دور مدينة بربر كميناء داخلي ومحطة من أهم المحطات في طريق الحج في السودان الشرقي، وتاريخ أسرة السادة الكنتية بمنطقة أزواد بغرب إفريقيا، وعلاقتهم بالسودان الشرقي عامة ومنطقة بربر خاصة، وهي دراسة وثائقية تدرج أهميتها في إبراز التواصل والاتصال العلمي والتراث الثقافي بين أقطار ومدن وعلماء الأمة الإسلامية.

### Abstract

The study deals with the cultural relations between the different parts in the Islamic world, and the routes of pilgrimage as being the most important streams of these relations. It also aims at illustrating the role of Barbar as an inner harbor and a station amongst the most important ones in the route of pilgrimage in Eastern Sudan. Besides, the research examines the history of the Kunta dynasty in the region of Azawad in West Africa, and their relations with Eastern Sudan in general, and the region of Barbar, in particular. The importance of this documentary study lies in illustrating the interactive relations, the cultural and scientific contacts between the countries and cities in the Islamic world

## تمهيد

عرف السودان الشرقي منذ القدم بأنه أرض مضيافة متجددة العطاء، تقترب من الوافد الجديد لدرجة أنها تتبنى مبادئه ومعتقداته<sup>1</sup> وتوفر له فرص الإقامة المستدامة حتى ينسى أهله وعشيرته، فلاغرو أن يجد الغريب نفسه فرداً فاعلاً؛ بل قائداً فذاً لذلك المجتمع المضياف، وصدق عليهم قول الشاعر:

فلا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبة والوطن

فقد استوعبت المنطقة الموسومة الآن بالسودان، سابقاً أرتال الهجرات العربية من الجماعات والقبائل والأفراد؛ ومازالت تستقطب في عهود تالية النخب من العلماء ولا سيما سكان المغرب الإفريقي وبلاد شنقيط الذين ظلت لهم مكانة سامية في نفوس السودانيين ونخص منهم الأفراد ذوو النفوذ؛ الذين كان تأثيرهم ظاهراً وأثرى المجتمع ورفده بالموثرات الثقافية والاجتماعية، وربما السياسية، فقد سبقت صاحبنا الشيخ (زين العابدين الكنتي) من قبل مجموعة من نخب المغاربة أمثال الدنفاسي صاحب المنظوم<sup>2</sup> بمدرسة الغبش غربي بربر<sup>3</sup> والتونسي صاحب كتاب (تشحيد الأذهان بسيرة بلاد المغرب والسودان) "بدار فور ووداي، فضلا عن

السلوى المغربي، فيما عرف عند المؤرخين بنظرية الغريب الحكيم<sup>4</sup> مما هيأ جواً من المؤثرات الثقافية وعوامل البيئة الصالحة للإقامة المستدامة وتكوين الأسر الممتدة للكثير من العابرين؛ والذين قصدوا أرض السودان الشرقي لأغراض متباينة، لكنهم (مكتوا) ولم يقللوا راجعين إلى

1. ترمنجهم، سبنسر. الإسلام في السودان. تأليف سبنسر ترمنجهم، (ترجمة) فؤاد محمد عكود. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2001م، ص10.

2. المرسوم والمعدود في القرآن منظومة مشهورة في المدارس القرآنية في السودان يطلق عليها المغرب العربي التنزيلات

3. عوض الكريم، معتصم الحاج. وثائق الغبش بولاية نهر النيل بالسودان: دراسة ديپلوماتيكية رسالية (دكتوراه) غير منشورة، إشراف د. النسر عبد الفضيل سليم، جامعة أمدرمان الإسلامية، 2014م .

4. المرجع السابق ص 151

بلادهم (هجرة الباتي)<sup>1</sup>، مما سهل الاندماج والامتزاج والتواصل والاتصال العلمي والثقافي. فقد مثلت المدونات والآثار العلمية التي توافروا عليها شواهد ملموسة على قوة العلاقات وأواصر الصلات بين الشرق والغرب الإسلامي.

فقد عرفت حديثاً ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بأنها اختصرت المسافات؛ بيد أن العلاقات الروحية والروابط الثقافية قديماً؛ على الرغم من شح التقانات والامكانيات؛ قد فعلت أكثر من ذلك وبدرجة بارعة، إذ سجلت حضوراً بارزاً ليس على مستوى الثقافات والمعلومات فقط؛ بل نقلت الكيان المادي (الفيزيائي) للإنسان، ومن أبرز تلك المعالم والمؤثرات في المجتمع الإسلامي هي الرحلة الحجازية؛ بما تحمله من مضامين وجدانية، وآثار علمية وشعائر تعبدية.

وتقدم هذه الدراسة ترجمة لتلك الرحلة من خلال نقد وتحليل الوثائق التاريخية، لأسرة من أعرق الأسر باقصى الغرب العربي الإفريقي، ارتبطت ووجدانيا بأسرة أخرى بشمال السودان الشرقي (مدينة بربر) فأفرزت تلك العلاقة ما نحن بصدد دراسة من الصلات والروابط الثقافية.

### الإطار المنهجي

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

من أهم النتائج التي اكتنفت الرحلة الحجازية؛ التواصل والاتصال بين المسلمين، ولما كان السودان الشرقي أقرب محطات العبور في طريق الحج الإفريقي، بات مكاناً للإقامة المستدامة وموطناً بديلاً لطوائف من العابرين، وذلك لدواعي واعتبارات مختلفة؛ وبذلك أصبحت تلك العناصر أهم أدوات التفاعل والاندماج الثقافي، عليه تركزت إشكالية الدراسة حول العلاقات الثقافية والآثار

1. إشارة إلى حديث وائلة بن الأصقع في كتاب كنز العمال الهندي، 1979م المتقي. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال،

بيروت: مؤسسة الرسالة ص676

العلمية للرحلة الحجازية، وكيفية بحثها وتوثيقها والإفادة منها، وهو أمر عزت فيه الكتابة، وخلت المكتبة السودانية منه تماما، وبهذا تحاول هذه الدراسة أن تسد ثغرة في مصادر الدراسات السودانية في الموضوع. ويمكن عرض هذه الإشكالية من خلال التساؤل الرئيس، إلى أي مدى أسهمت الرحلة الحجازية في توثيق أواصر الصلات وإقامة العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المجتمعات الإسلامية؟ وتتفرع من هذا التساؤل عدة تساؤلات أخرى:

1/ ما الأدلة والشواهد المادية على العلاقات الثقافية بين السودان الشرقي والغربي خلال العصور الإسلامية؟

2/ كيف تم التواصل والاتصال بين (بربر) و(زواد) رغم تباعد المسافات واختلاف البيئات؟

3/ من هم السادة الكنتية؟ وما علاقتهم بمدينة بربر خاصة والسودان الشرقي عامة؟

4/ ما الأسباب والملابسات التي تجعل من محطات طريق الحج وطناً بديلاً للموطن الأصلي؟

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى:

1/ الوقوف على آثار العلاقات الثقافية بين البلاد الإفريقية والعربية بسبب الرحلة الحجازية

2/ إبراز الرحلة الحجازية كأهم عوامل الوحدة الإسلامية.

3/ استخدام المنهج الدبلوماسي في إظهار العلاقات الثقافية للرحلة الحجازية.

4/ إلقاء الضوء على مدينة بربر كمحطة في معالم طريق الرحلة الحجازية في السودان.

5/ التعرف على جهود السادة الكنتية وآثارهم العلمية والثقافية داخل وخارج حدود موطنهم.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من أهمية طريق الحج في إفريقيا؛ وأثره في بعث الروح الإسلامية والروابط الاجتماعية والثقافية بين أطراف البلاد الإسلامية، حيث توفر الأصول التاريخية شواهد حية وملموسة تمثل أبلغ وأعمق الآثار لتلك الروابط والعلاقات الثقافية.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوثائقي؛ الذي يعرف بالمنهج التاريخي **Historical Method**) وهو الأسلوب الأنسب والأقدر على الاستجابة لمطلوبات البحث وتحقيق أهدافه، وتستهدي الدراسة بالملاحظة والمصادر التاريخية كأهم أدوات جمع البيانات.

مصادر الدراسة

الدراسات الوثائقية:

إذا سلمنا جدلاً بأن اختيار المنهج يتوقف على طبيعة المشكلة، فإن مصطلح البحث الوثائقي الذي يعود إلى النشاطات العلمية التي تقوم على تعلم الحقائق والمبادئ الجديدة عن طريق دراسة الوثائق والسجلات؛ هذه الطريقة التي طالما استخدمها المؤرخون بشكل ثابت حتى عرفت بالمنهج التاريخي **Historical Method**)، فالمنهج الوثائقي منهج نقدي بالدرجة الأولى يعتمد على المصادر الأولية (الوثائق والمخطوطات) ويخضعها للدراسة والتحليل في شكلها ومظهرها الخارجي (النقد الخارجي)، وبنفس القدر يتوافر على مضمونها ومحتواها الداخلي (النقد الداخلي)، وهو ما يطلق عليه علم الدبلوماسية وهو العلم الذي يهتم بدراسة الوثائق من حيث الشكل الذي يتمثل في الخصائص والمميزات الخارجية؛ التي تشمل المادة التي (كتبت بها) والمادة التي (كتبت عليها) الوثائق، بالإضافة إلى نوع الخط والأختام والتوقيعات طريقة الإخراج وكل ما يتعلق بلغة الوثيقة وصياغتها، وما بها من وقائع وأحداث تاريخية أو قانونية<sup>1</sup> وقد ظهر هذا العلم أصلاً لإزالة الشكوك التي تكتنف

الوثائق المكتوبة والجدل الذي يثار حولها من أجل تجهيز الوثائق التاريخية للباحثين والمؤرخين للإفادة بمحتواها، فالوثائق لا تعد ذات قيمة أثرية وحسب، ولكنها تعطينا قوة متزايدة لفهم الطبيعة، وفهم أنفسنا ونحن ندرس سجلات الماضي. وفي هذا الجانب تكمن براعة البحوث الوصفية التي تتطلب مهارة التخطيط والتحليل ويتم بالاستعانة بالوصف الأرشيفي للمجموعات<sup>1</sup> فالدراسة الحالية تدمج بين أسلوب المسح ودراسة الحالة في وصف المجموعة.

### الرحلة الحجازية:

من اللطائف وتوافق الأقدار التشابه اللفظي بين بداية كلمتي (الحج) و(الحجاز) الإقليم الذي تقع فيه مكة المكرمة؛ التي اصطفاها الله مكاناً لعبادته ومثابة للناس وأمناً، وقضى أيضاً بتجربتها من كل زخارف الطبيعة، حتى لا يلهو فيها العابد عن ذكره ويكون قصده خالصاً، فكانت مكة مجرد بلدة عرفها الإنسان، فهي حقاً فردوس العبادة في الأرض، وجنة الدنيا المعنوية، مع أنها عبارة عن واد ضيق، فبقدرما أفاض الله على هذا المكان من الشعاع المعنوي قضى بحرمانه من الحلية<sup>2</sup> وصف الله تعالى هذه الحالة فقال عن لسان سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم (ربنا إني أسكنت من نريتي بواد غير ذي زرع) ولما كان شد الرحال إلى واد كهذا أ ليس مما يرغب فيه الناس دعا قاتلاً(فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) أي تحبهم وتحب المكان الذي يسكنون فيه<sup>3</sup>

العلاقات والرواط الثقافية:

1. عوض الكريم، 2014م ، مرجع سابق ص 12

2. أرسلان، شكيب. الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، وقف على تصحيحها وعلق على بعض حواشيتها الشيخ محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، 1350هـ ، ص 15.

3. السعدى، 2000م عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، القاهرة: فخر للطباعة ص 427

ترد كلمة الثقافة في اللغة العربية بعدة معانٍ، من الفعل ثقّف وثقّف بمعنى أدب وربّي وعلم، وفي (اللسان) أصبح حادثاً فطيناً ملماً بالموضوع من كافة جوانبه، والثقاف هو ما تُسوّى به الرّماح كما ترد بمعنى التسوية والعقل والفهم وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى استثارة الذهن وتهذيب الذوق<sup>1</sup> ومن معاني الثقافة: أنها سلوك تعليمي يكتسبه الأفراد كأعضاء في جماعات تعيش في المجتمع الواحد. وهي ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والمعتقد، والفن، والخلق، والقانون، والعادات الاجتماعية

وهي مجموع كمي من المعرفة البشرية وسلوكها المكتسب، ضمن الإطار الاجتماعي للفرد الواحد، ويستخدم تعبير النمط الثقافي ليعني ترتيباً متجانساً للسلوك البشري، والعادات الاجتماعية، ومنظومة القيم المرتبطة بها، تنتشر وتتطور عناصر الثقافة من مجتمع إلى مجتمع بالاتصال المباشر أو غير المباشر بين الأفراد والجماعات أو الجماعات والجماعات، وبعملية يمكن تسميتها بالانتشار، وضمن التطور المتواصل في وسائل الاتصال وسبل السفر، كلما ازداد تبادل عناصر الثقافة ازدياداً مطرداً، ومع ذلك يكون النظام السياسي، أو الديني، نموذجاً مثالياً وأكثر قدرة على الانتشار؛ حينئذ تبرز العلاقات بين الأفراد والمجتمعات<sup>2</sup> ففي العادة تكون منطقة الثقافة إقليمياً جغرافياً يعيش فيه سكان يشتركون في سمات ثقافية متشابهة، وأنماط من البيئة الثقافية، وطرائق حياة متماثلة، ووظيفة معلومة، وقيمة متعارف عليها عند المجموعة الثقافية الواحدة، هذا ويمكن تصنيف أنماط السلوك الثقافي باعتبارها مؤسسات اجتماعية تمتلك كل وسائل التحكم في المجتمع، وتمتلك ما يحكم التفاعل

1. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، الفصح في اللغة، دار صادر: بيروت (د.ت): ثقّف

2. ضناوي، محمد علي. - حضارة الإسلام بين التحدي والتعطيل // الإسلام والحضارة. - الرياض : الندوة العالمية للشباب

الإسلامي، 1985م، ص 487

الداخلي بين أعضائها؛ وهي مؤسسات تتضمن كُلية المعرفة والمعتقد الذي تشترك فيه الثقافة ووسائلها بغرض الاتصال؛ وهي مؤسسات تتضمن كل الأدوات والمهارات والقدرات؛ وهي التوجهات الراسخة، والعواطف، والمفاهيم التي تتصافر لتؤثر على السلوك الإنساني. وتصبح المجتمعات الإنسانية بقيادة أنظمتها الثقافية عوامل بيئية فاعلة. وبما أن المجتمعات الإنسانية تستخدم وتعديل عاداتها بوسائل ثقافية متباينة، فمن الممكن أن تبرز أنماط واضحة ذات طابع ثقافي مميز<sup>1</sup>.

الدراسات السابقة:

- ركز (أبوسليم، 1968م)<sup>2</sup> على جانب المضمون، في تحقيق مخطوط في تاريخ مؤسس الختمية " الإجابة الإبانة النورانية في شأن صاحب الطريقة الختمية مولانا محمد عثمان الختم" بينما جاء النقد الخارجي الذي يتعلق بدراسة المخطوط من حيث عدد الأسطر ونوع الخط والإخراج والهوامش والحواشي وبداية كل نسخة ونهايتها وما إلى ذلك، عدا عدة سطور واصفة النسختين التين عثر عليهما الباحث وتواريحهما، في حين أسهب في تاريخ ملاك النسخة الثانية، وهم أسرة محمود بادي حيث تولى ابنهم خليل إدارة مطبعة الحجر في عهد المهدية، ولم يزد الوصف على إخبارنا عن نوع الورق "ورق الجابر الأبيض السميك الذي كان شائعا في التركية والمهدية..". الآنه ختم المقال بعبارة : ". هذه دراسة أولية احب أن تضيف الكثير لمحصلونا من البيانات التاريخية" الأمر الذي يعزز أنها دراسة أولمحات سريعة للمخطوط، ولو أن ذلك لا يعفي الرجل- وهو سادن الوثائق في السودان- من التطرق لوصف الجوانب

3. معجم المعاني الجامع ص 21 // <http://mawdoo3.com>

4. أبوسليم، محمد إبراهيم. أحمد بن ادريس الرباطي، كتاب الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية، أحمد بن ادريس الرباطي، بيروت، 1968 م .



المهمة من النقد الخارجي أو الدبلوماسي، أما علاقة هذا المقال بالدراسة الحالية فتتمثل في تحقيق النصوص، ونقد الأصول التاريخية، مع الفارق بين طبيعة المخطوط والوثائق التي نحن بصدددها.

- حاول كل من (HOFHEINZ, KARRAR, O'FAHY, 1993)<sup>1</sup> تسجيل مادة وثائقية عن الطريقة الإدريسية ومؤسسها السيد أحمد بن إدريس الفاسي، تحوي خطابات مختلفة لتلامذته حوالى (32) خطاباً، تمثل مجموع الفتاوى والإرشادات التي بعث بها الأستاذ رداً على أسئلتهم، استعرض الكتاب -الذي جاء نتيجة للأبحاث المتصلة التي عقدت بجامعة بيرجن بالنرويج- الخطابات والشخصيات المرسل إليها والمظان التي استقيت منها مصادر تلك الخطابات، وهي: (1) أقطار أزهار حظيرة التقديس في كرامات السيد أحمد بن إدريس (تحقيق) صالح الجعفري، القاهرة: 1394هـ/1974م.

(2) ترجمة الاستاذ الأعظم والملاذ الأقدم صاحب العقد النفيس مولاي المغربي الشريف سيدي أحمد بن إدريس (مخطوطة) ركز (أبو سليم، 1991م)<sup>(3)</sup>، على جانب المضمون في تحقيق كتاب الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية لأحمد بن إدريس الرباطي، بينما جاء النقد الخارجي الذي يتعلق بدراسة المخطوط من حيث عدد الاسطر ونوع الخط الاخراج والهوامش والحواشي وبداية كل نسخة ونهايتها وما إلى ذلك، عدا عدة سطور واصفة للنسختين التي عثر عليها الباحث وتواريخهما، في حين اسهب في تاريخ ملك النسخة الثانية، وهم اسرة محمود بادى حيث تولى ابنهم خليل إدارة مطبعة الحجر في عهد المهديّة، ولم يزد الوصف على اخبارنا عن نوع الورق "ورق الجابر الابيض السميك الذي كان شائعاً في التركيّة

1, LONDON: HURST & COMPANY, 1993 رسائل أحمد بن إدريس

والمهدية.. " إلا أنه ختم المقال بعبارة : " .. هذه دراسة أولية أحب أن تضيف الكثير لمحصلونا من البيانات التاريخية" الأمر الذي يعزز أنها دراسة أو لمحات سريعة للمخطوط، ولو أن ذلك لا يعفى الرجل - وهو سادن الوثائق في السودان - من التطرق لوصف الجوانب المهمة من النقد الخارجي أو الدبلوماسي، أما علاقة هذا المقال بالدراسة الحالية فتتمثل في تحقيق النصوص، ونقد الاصول التاريخية، مع الفارق بين طبيعة المخطوط والوثائق التي نحن بصددھا.

هدف (الحسن، 1999م)<sup>1</sup> إلى الحصر الكمي لإبراز التنوع الموضوعي لمصادر الخلافة الصكتية في أشكالها وأحجامها المختلفة، وضبطها ببيوجرافيا للتعريف بها خدمة للباحثين، ومن ثم دراسة المصادر من الناحية الببليومترية بغرض إظهار حجم التحقيق والنشر، استخدمت الدراسة المنهج التاريخي (الوثائقي) والوصفي التحليلي بطرقه المسحية والإحصائية، وتوصلت إلى عدة نتائج منها أنها قدمت خدمة ببليوجرافية متميزة بإسهامها في الضبط الببليوجرافي الموضوعي والقطري والإقليمي والعالمي، ووفرت نموذجاً متفرداً جمع بين الأشكال المختلفة للمواد المخطوط منها والمطبوع فضلاً عن غير المنشور، كما أبرزت حجم المساهمة العلمية لمؤسى الخلافة الصكتية والدور الكبير الذي أدوه في مجال التأليف المخطوط.

- سعى (عوض الكريم، 2014م)<sup>2</sup> لتسليط الضوء على التراث السوداني المخطوط عامة وتراث الغبش وإسهاماتهم العلمية في التوثيق والكتابة على وجه

---

1 الحسن، عبد القيوم عبد الحليم. الخلافة الصكتية في مخطوطات ومطبوعات دراسة ببليوجرافية ببليومترية، (ماجستير) غير منشورة، إشراف د. الرضية آدم محمد، د. زين العابدين عبد الحميد السراج مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية 1999م.

2 عوض الكريم، 2014م مرجع سابق

الخصوص. والكشف عن الملامح والمؤشرات الدبلوماسية التيكية للوثيقة العربية في السودان، وإخضاعها للتحليل والدراسة الدبلوماسية والوقوف على اتجاهات الإنتاج الفكري السوداني المخطوط، وتوصل إلى أن أسرة الغبش نجحت في تأسيس مدرسة متميزة؛ حافظت على مصادرها المدونة في شكلها المخطوط، وأسهمت بدور رائد في الحركة الفكرية، أصبحت بفضلها علوم القرآن في السودان لا تقل درجة عن مناهج رصفانهم في مصر والحجاز. بينما عكست مؤشرات دراسة الوثيقة عند الغبش مظاهر الثقافة العربية الإسلامية، وجسدت أصالة وسمات وملامح الوثيقة السودانية عبر العصور. أما ارتفاع شأن ثقافة الاتصال المكتوب في المهديّة، فقد جاء ترجمة حقيقية لتفاعل القاعدة مع المركز.

الإطار النظري: التواصل والاتصال للرحلة الحجازية ونتائجها وآثارها:

يعد السودان الشرقي قديماً، المعبر البري الآمن والأقرب والآهل بالسكان بالنسبة لقوافل الحج القادمة من العمق الإفريقي، وهو ما كان يعرف بطريق الحج القديم (سواكن/تمبكتو) الأمر الذي أعطى أهل البلاد فرصة التواصل مع أهل العلم والمعرفة من قبائل تلك البلاد التي تعبره بقوافلها وأعمالها برأ لأداء فريضة الحج. حيث أدى موسم الحج إلى التواصل الفكري بين أطراف البلاد العربية والإسلامية من درجة التواصل النخبوي "الموسمي" إلى وحدة حقل ثقافي وسط قوامه "رحلات علمية وإجازات واستجازات في جميع الاتجاهات، وتبادل على مستوى الإفتاء والاستفتاء يدل على تشابه المعطيات والنوازل و وحدة أدوات التفكير والاجتهاد."

مثل موسم الحج ملتقى "لمتقفي" العالم الإسلامي يتلقون فيه مع بعضهم البعض للتداول والتشاور حول مشاغلهم الفكرية المختلفة. وبذا مكن التفاعل الدائب بين المركز والأطراف، من الحفاظ على بقاء ووحدة الفضاء الثقافي العربي الإسلامي، كما أن النابهين من الطلبة والفقهاء ظلوا يرحلون إلى

المشرق من كل الأصقاع الإسلامية، أداء لفريضة الحج وسعيا إلى التحلي بإجازات تكون عالية السند، مما أنتج في نهاية المطاف شبكة من العلاقات الفكرية الرائدة في أصقاع العالم الإسلامي، وبذلك رفدت الرحلات حركة العلوم العربية الإسلامية وانتقال مصنفاها وإجازات منتجها ومستهلكها من العلماء والطلبة. ومن هنا فإن اللقاء بين الفقهاء الشناقطة وأضرابهم في المشرق والمغرب ساهم في إنشاء علاقات وروابط اجتماعية وثقافية امتدت آثارها عبر الأجيال، وفي مقدمتهم الكنتية. السادة الكنتية وما آثارهم العلمية؟:

انتشرت الثقافة العربية والإسلامية في إفريقيا جنوبي الصحراء بعد دخول الإسلام إلى القارة وتشعب بها أبنائها وساهموا بدورهم في استمراريتها وإغنائها حيث ظهر أفراد وأسر تركوا بصماتهم الواضحة في هذا الميدان والأسرة الكنتية هي من أشهر الأسر العالمية في السودان الغربي والصحراء الإفريقية الكبرى؛ التي توارث أبنائها العلم والمعرفة والصلاح أبا عن جد، فهي تنتمي إلى قبيلة كنتة البكري، وهي قبيلة عربية تنسب لعقبة بن نافع الفهري التي انتشرت في الصحراء الإفريقية في دول مالي وموريتانيا والجزائر، من (تكانت) بموريتانيا إلى (إدرار ايفوغاس) شرق مالي، تحركت في القرن (12هـ/18م) بين (الحوض) في الجنوب إلى (الساقية الحمراء) في الشمال و(توات) في الشرق، وامتد فرع منها إلى (ولاتة) و(وادي درعة) و(أزوا) و(تنبكت). كذلك توجد بعض فروع من هذه الأسرة في السنغال وغامبيا والنيجر، بيد أن نواتها كانت في (توات) قبل أن تتوزع في المناطق المشار إليها.

أبرز زعيم للقبيلة الشيخ عمر بن أحمد البكاي الكنتي المولود في 1460م بالصحراء، وقد خلف والده في الزعامة الروحية لقبيلة كنتة، والتقى الشيخ المغيلي التلمساني، شيخ الطريقة القادرية وناشرها بين أفراد القبائل الإفريقية الصحراوية والسودانية، وسافر معه إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج، قبل

أن يرجع الشيخ عمر ت (1553م/960هـ) بعد ذلك إلى الصحراء وبلاد السودان، صار الشيخ عمر بن أحمد البكاي مقدم الطريقة القادرية في المنطقة بعد وفاة شيخه المغيلي سنة 1532م<sup>1</sup>.

أما أشهر أعلام كنتة وتكوينهم العلمي ومكانتهم ومساهماتهم وعطاءاتهم العلمية في مختلف المسائل الفقهية والفكرية فإن أبرزهم :

• المختار الكنتي الجد : هو محمد بن المختار ابن أحمد ابن أبي بكر بن محمد حبيب الله بن الوافي بن سيد امير الشيخ بن الشيخ سيد أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي. ذكره صاحب: "منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور" الطالب بوبكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، يروي الشيخ سيدي محمد الكيفية قصة انتقال تعاليم الطريقة القادرية إلى جده أستاذ أساتذته الشيخ سيدي عمر الشيخ قائلا بعدما تزلج من فنون العلوم، مسافرا إلى جهة السوس الأقصى، لقي الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، فلزمه برسم التقشف والمجاهدة ثلاثين سنة، فلما مات الشيخ قال لبنيه وسائر مريديه قولته المشهورة وهي إحدى علامات الاستخلاف عند المتصوفة : "من كان منكم ملتصبا مني نفعاً، فليتمسه من هذا، فإنه احتوى على جميع ما عندي، وامتصني كما يمتص الآكل التمرة ويلقي بالنواة".

• محمد بن المختار، الخليفة: الابن الخامس من أبناء الشيخ سيدي المختار الكبير ولد حوالي 1756م اجتذب علمه وورعه منذ صغره اهتمام والده الذي بلغت شهرته الآفاق إليه فاختره لخلافته الروحية عندما حضرته الوفاة سنة 1811م. لم يترك سيرة ذاتية عن نفسه، باستثناء بعض الإشارات العابرة التي نجدها في ثنايا كتبه، وهي في الأغلب الأعم تتحدث عن بعض المواقف التي

1 صادقي، حسن. مساهمة كنتة في الحياة الثقافية والسياسية. الرباط: معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس السويسي

(بحوث ودراسات الإصدار رقم 16) 2012 م، ص 22

حصلت له من شيخه ووالده وبعض من تلاميذه<sup>1</sup>.

استمر الشيخ سيدي محمد الخليفة في الزعامة الدينية القادرية خمس عشرة سنة كانت حافلة بالعطاء الفكري الزاخر، له من التأليف والمصنفات ما يربو على الأربعين : من الفقه وعلم الأصول والكلام وأدب السياسة إلى التصوف وعلم العروض والشعر وعلم الأنساب: ألف في

مجال الفقه : إرشاد السالك إلى أقوم المسالك،

في مجال علم الأصول:

1- ترجمان المقال ورافع الإشكال : وهو شرح نظم ورقات الجويني

2- نظم ورقات أبي المعالي الجويني واسمه منهج الفعال

ب- في علم الكلام له : بهجة النفوس.

ج- في أدب السياسة له: أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام،

د- في التصوف وفيه أكثر أعماله : 1/ جنة المرید دون المرید، وهي نموذج للأدب

الصوفي الجامع لموضوعات التصوف السني المانع لشطحات الإشراقيين والحلوليين،

وله في هذا الفن كتب كثيرة أخرى منها : 2/ الطرائف والتلائد في كرامات الوالدة والوالد،

3/ السلم الأسنى إلى أسماء الله الحسني، 4/ الدراري السارية في الأجوبة الخيرية، 5/

كتاب الإسراء، 6/ شرح المثلث خالي الوسط، 7/ شرح الورد القادري، 8/ العقد التنظيم

على أقوال العلماء في الاسم الأعظم، 9/ الفوائد النورانية والفوائد السنية في شرح

الاسم الأعظم، 10/ مفسر المقال لمضمر الحال، 11/ الإيجاب والسلب بجلاء مرآة

القلب، 12/ منح القدوس في عقب ثمر أحمد الشموس وله في هذا الفن أعمال أخرى

يطول حصرها.

ه- في علم العروض والشعر :

1/ الخاتمة على الأبيات والألقاب وللأجزاء والأعاريض والأسباب

1 مارثي، بول. كنتة الشريون (ترجمة) محمد محمود ودادي دمشق: دار زيد بن ثابت، 1985م ص39

في علم الأنساب له كتاب شهير : الرسالة الغلاوية والتي تعد بشهادة الكثيرين قمة في الموضوع، وله كتب أخرى ذات طبيعة سجالية يرد فيها على خصومه في شتى المجالات نذكر منها: 1/ الرسالة البارعة القاطعة لداير سييء اعتقادات المعاند القارعة، 2/ علم اليقين وسنن المتقين بحسم الإتاوة في حق المستحقين، 3/ الصوامر الهندية بحسم دعاوى المهديّة.

• المختار بن محمد بن المختار، الحفيذ

• أحمد البكاي بن محمد بن المختار: ومن أبرز الأحداث التي جرت في عهده حوالي سنة 1860 بعثت ملكة بريطانيا إليزابيت الأولى هدايا ثمينة للشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي مع رسالة شكر مختومة بالطابع الملكي، وربما يكون هذا الأمر أول مظاهر العلاقة الدبلوماسية مع بريطانيا. وكان سبب هذا الاحتراف وتلك الرسالة إكرام الشيخ الكنتي للرحالة الجغرافي الألماني "هنريش بارث"، مبعوث صاحب الجلالة إلى إفريقيا، الذي كان ثالث أوروبي يصل إلى مدينة تنبكتو سنة 1853م<sup>1</sup>

الطريقة الكنتية القادرية:

تعد الطريقة القادرية من أهم الطرق الصوفية وأوسعها انتشارا في العالم الإسلامي، وأبلغها تأثيرا فكريا واجتماعيا وسياسيا في الكثير من البلدان وهي (القادرية) المنسوبة إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى "561 هـ- 1167م" وقد انتقلت إلى المغرب عن طريق أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي "594-1198م"، وأخذها عن شعيب الأنصاري عبد السلام بن مشيش؛ الذي انتشرت على يده بصفة محدودة، وسوف يبذل الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي "940هـ/1533م" جهودا كبيرة في نشر

1 صادقي، 2012م مرجع سابق ص 35

2. المرجع السابق ص45

القادرية، فقد زار بلاد السودان ومنطقة منحى نهر النيجر وكان وفيًا لمرجعياته الفكرية ونشر القادرية حيثما حل، وعنه أخذها من هذه البلاد الشنقيطية الشيخ سيدي أعرم بن الشيخ سيد أحمد البكاي الكنتي "ت959هـ- 1552م" الذي ينسب إليه تأسيسها في السودان والصحراء.

البكائية الكنتية:

وهي منسوبة إلى مؤسسها الشيخ سيد أعرم بن الشيخ سيد أحمد البكاي الذي زار توات عدة مرات ولقي المغلي وتلمذ عليه ردحا من الزمن في بداية القرن 10 هـ إلا هذه الشعبة لم تبلغ أقصى مراتب الازدهار والانتشار إلا مع الشيخ سيدي المختار الكنتي ت (1226هـ-1821م) والذي يعد بحق مؤسس التصوف الطرقي في البلاد الشنقيطية<sup>1</sup>.

ومن اختلاف المناطق التي جاء منها تلاميذ الشيخ سيدي المختار الكنتي وأهمية الأدوار التي قاموا بها فيما بعد يتضح أن هذا الفرع من القادرية في شنقيط كان دائما في قمة الهرم الديني والسياسي، حيث يبدو أن العلماء الذين حملوا هم العام على أكتافهم كان الكثير منهم شيوخا في هذه الطريقة فالدور الذي قام به الشيخ سيد المختار الكنتي من إصلاح بين المتخالفين وعزل وتولية للأمرء وخاصة في منطقة ازواد كلها أمور تدل على ذلك الدور، ولم يكن الشيخ سيديا الكبير في منطقة القبلة إلا مثلا آخر على التأثير القوي للبكائية القادرية في بلاد شنقيط.

رحلات الحج والجهود العلمية حولها:

نتيجة للرحلات الحجازية برزت مصنفات علمية قيمة اخترنا منها فقط ما كان عنوانها (الرحلة الحجازية) في شكل جدول رقم (1) يبين عنوان الكتاب والمؤلف والتاريخ ما أمكن ذلك



أما ما عرف بالرحلات الشنقيطية؛ عندما استقل الحاج الشنقيطي عن مثيله التكروري، انطلق ركب الحاج من بلاد شنقيط في ق11هـ/17م فلا غرو أن عرف أهل هذه البلاد بولعهم بالحج، يؤكد ما جاء من أنه قد يحج من الدار من أهل شنقيط كلها لا يبقى فيها أحد.

| م  | عنوان الكتاب                      | المؤلف                              | التاريخ |
|----|-----------------------------------|-------------------------------------|---------|
| 1  | رحلة إلى الحجاز                   | إبراهيم عبدالقادر المازني           | 1431هـ  |
| 2  | الرحلة الحجازية                   | أبي عبدالله محمد بن أحمد الحضيكي    | 1432هـ  |
| 3  | الرحلة العياشية للبقاع الحجازية   | عبدالله بن محمد العياشي.            |         |
| 4  | الرحلة الحجازية                   | محمد بن عثمان السنوسي               |         |
| 5  | الرحلة الحجازية                   | محمد لبيب البنتوني                  |         |
| 6  | رحلة الحجاز                       | محمد رشيد رضا                       |         |
| 7  | الرحلة النجدية الحجازية           | محمد بهجت البيطار                   | 1338هـ  |
| 8  | رحلتي إلى الحجاز                  | محي الدين رضا                       |         |
| 9  | رحلة حجازية                       | محمد بن الحسن الحجوي                | 1365هـ  |
|    |                                   | الثعالبي الفاسي                     |         |
| 10 | اللؤلؤ الفاشية في الرحلة الحجازية | أبي الفيض محمد بن عبدالكبير الكتاني | 1431هـ  |
| 11 | رحلة بيرتون إلى مصر و الحجاز      | بيرتون                              |         |
| 12 | الرحلة السعودية الحجازية النجدية  | محمد سعود العوري قاضي بيت المقدس    |         |
| 13 | المختار من الرحلات الحجازية       | محمد بن حسن بن الشريف               |         |

جدول رقم (1) بين نماذج لمصنفات بعنوان الرحلة الحجازية

| م | عنوان الكتاب    | المصنف(المؤلف)          | النشر |
|---|-----------------|-------------------------|-------|
| 1 | الرحلة الحجازية | محمد يحيى الولاتي       | مطبوع |
| 2 | رحلة إلى الحجاز | محمد فال بن بابا العلوي |       |

|   |                                    |                                     |                    |
|---|------------------------------------|-------------------------------------|--------------------|
| 3 | رحلة حج البُصادي                   | الشيخ المعلوم البُصادي              | نظم سيديا          |
| 4 | رحلة للحجاز                        | محمد يحيى بن أبوه البعقوبي          |                    |
| 5 | رحلة إلى بيت الله الحرام           | محمد الأمين الجكني الشنقيطي         | منشوره             |
| 6 | رحلة الشيخ ماء العينين             | ماء العينين                         | تحقيق مربيه ربه    |
| 7 | رحلة المُنَى والمِنَة <sup>1</sup> | الطالب أحمد (بن طوير الجنة)         | بفاريبورغ بألمانيا |
| 8 | رحلة إلى الحجاز والجزيرة           | محمد أمين فال الخير الحسني الشنقيطي |                    |

والهند

### جدول رقم (2) بين نماذج لمصنفات الرحلة الحجازية لبلاد شنقيط

وهكذا نرى الجهود العلمية وحركة مصنفات الرحلة الحجازية وانتشارها في البلاد خاصة المغاربية.

#### مدينة بربر والرحلة الحجازية:

تعد مدينة بربر القديمة، بشمال السودان، أقدم مدينة إسلامية في المنطقة، حيث يرجع تاريخها الى الفترة ما قبل 1504م. وقد ظلت المدينة زاخرة بالحركة والحياة إبان حكم الإدارة التركية إلى عام 1885م، تميزت مباني المدينة بالطابع المعماري الإسلامي، وشيدت من الطين، واحيانا من الطوب الاخضر، وهي مادة البناء المتوافرة والملائمة مع البيئة والمناخ الحار للمنطقة الشمالية من السودان، لذا ظلت المباني قائمة و متماسكة لانعدام الأمطار والرطوبة والعواصف التي عادة ما تؤثر على متانة المباني الأثرية القديمة، كما استخدم سعف النخيل لأسقف المباني في بربر القديمة لبناء اربعة جوامع ملحق بها

اهتم الفرنسيون بهذه الرحلة فنشر الأستاذ ديستانك عرضا لأبرز محتوياتها في أحد أعداد (المجلة الإفريقية) الشهيرة La Revue Africaine الصادر سنة 1911، كما قام مستشرق إنجليزي اسمه هنري ثرلوال نوريس H.T.NORRIS (أستاذ بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن) بترجمة النسخة المحفوظة بوادان (موريتانيا) إلى اللغة الإنجليزية ونشرها عام 1977م.

(خلاوي) لتدريس القرآن، بينها خلوة خاصة بتدريس القرآن للنساء في مسجد محمد المصري العالم الإسلامي المعروف، وتعد هذه الخلوة أول مدرسة خاصة بتدريس القرآن الكريم للنساء في العالم الإسلامي<sup>1</sup>.

تعد بربر من اقدم المدن الإسلامية في أواسط إفريقيا، وقد أدت دورا حيويا كمحطة على طريق الحجاج إلى الأراضي المقدسة، فقد كانت القوافل القادمة من أنحاء مختلفة من إفريقيا تأتي إليها ومنها إلى ميناء سواكن على البحر الأحمر ثم إلى الأراضي المقدسة.

وقد وجدت في المدينة القديمة، مدينة للحجاج، قسمت فيها المباني لتستوعب حجاج كل منطقة أو بلد على حدة. أيضا كان للمدينة موقعها التجاري كرابط ما بين ساحل البحر الأحمر والمدن المطلة على ساحله الغربي، مثل جدة والمخا والعقبة. وبقيت المدينة نشطة ومزدهرة ومعلما إسلاميا بارزا حتى وصول الحكم الثنائي عام 1898م عندما أنشأت الإدارة البريطانية مدينة عطبرة.

أشار خبراء الآثار إلى أهمية المدينة التي تبرز على خير مثال معالم العمارة الإسلامية في السودان والمنطقة، كما أن المباني والمعالم المهمة لا تزال قائمة وشامخة، رغم مرور عدة حقب عليها، ومنها المساجد والخلوي، والمركز (الإدارة الحكومية) ومخزن الذخيرة والطوابي وأول مديعة خاصة بتلوين الثياب أو صبغها، وقد رفعت هيئة المتاحف والآثار السودانية مذكرة إلى جامعة الدول العربية بشأن اعتبار بربر أثرا إسلاميا متميزا تستحق التعاون من أجل المحافظة على مبانيها والمساهمة في ترميم معالمها المهمة وبما أن مدينة بربر تعد حاضرة النيل، ومن أشهر المدن السودانية، ولأنها مع عراققتها وشهرتها تجمع بين سمات وملامح المجتمع الريفي والمجتمع الحضري، فقد اتخذتها

1 محمد الحسن، محمد سعيد. اكتشاف أقدم مدينة لقوافل الحج بشمال السودان حنفظت بالمعمار الإسلامي و خلاوي تعليم القرآن

للنساء، جريدة الشرق الأوسط 2004م

الدراسة من المحطات المهمة في طريق الحج وتصلح لتكون عينة ونموذجاً لمناطق التراث المخطوط ، والذي حفظ لنا آثار الرحلة الحجازية ووثقها.

فالمدينة تقع على الضفة الشرقية للنيل على بعد حوالي (380) كلم شمال الخرطوم، على ارض رملية مرتفعة؛ تمتد باتجاه الجنوب، يطلق عليها (قوز الفونج<sup>(1)</sup>)، وقد يطلق الاسم مجردا بالتعريف (القوز) ليعني (بربر) أحيانا، وفي شأن تسميتها، ترد عدة تفسيرات للإسم (بربر)، منها أنه اسم لامرأة حكمت المنطقة تسمى (بربرة)، وهناك تفسير آخر ينسبه إلى حركة القوافل (بالبر)، ولكنه يرجح أن الاسم ظهر في الفترة العربية الإسلامية (فترة الفونج)، ومن أسماء بربر القديمة (المخيرف)<sup>(2)</sup> لأنها اطيبت مناطق السودان هواءً وأوفرها خيراً<sup>3</sup> ومن أسماء أحيائها التي أطلقت عليها قديماً من باب التغليب النخيرة. والناظر إلى خريطة السودان القديمة يرى أن مدينة بربر قد سيطرت على منافذ التجارة، فهي أقرب نقطة على النيل من سواكن والبحر الأحمر، وكذلك من كرسكو في مصر، فهي تمثل الميناء الداخلي.

يقول أبو سليم: "كانت بربر مدينة السودان الأولى تأتيها قوافل التجارة من سواكن وصعيد مصر، ومن دنقلا وسنار والفاشر، وكل عمق من أعماق الثروة، وكل فج من فجاج التجارة، وعلى كل ضامر، منها تخرج القوافل محملة وتعود من حيث أتت، وكانت شهرتها تفوق شهرة العواصم السياسية كالفاشر وسنار لغلبة التجارة على السياسية، وكان المهتمون بالسودان هم التجار، لا أهل السياسة، فصار لبربر من الحظ ما كان من أهمية وشهرة تفوق ما لغيرها من المدن "ويستطرد مضيفاً" بقيت بربر مدينة عظيمة وعاصمة لمملكة الميريفاب وأكبر مركز للتجارة في السودان لفترة طويلة... ولما جاء بوركهارت لاحظ أن

(1) هنالك حي يقع جنوب مدينة بربر مازال يعرف بهذا الاسم.

(2) يوجد بها، مسجد (المصري) والذي دفن بها والمقبرة إلى الآن تعرف به

(3) الصادق، حسن. مساهمة كتنة في الحياة الثقافية والسياسية. الرباط: معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس السويسي

(بحوث ودراسات الإصدار رقم (16) 2006م ، ص181

التجارة ومن ثم الأهمية أصبحت تتحول من بربر إلى شندی" <sup>1</sup> وعلى ذكر الرحالة بوركهارت وعلاقته بالمدينة؛ التي دخلها -23 مارس 1814م تمام العاشرة مساءً؛ قبل قرنين من الزمان من عامنا هذا- خلال رحلاته في بلا النوية والسودان، ووصفها وصفاً دقيقاً، فاق تصوير المخترعات الحديثة في تسجيل الأحداث، وبرزها في إعطاء صورة حية تلمح بالحركة شملت مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية؛ كأنها رأي العين، خلال (25)<sup>(2)</sup> صفحة، (169-195) أورد كلمة (بربر) أكثر من (70) مرة في مجمل الكتاب، ورغم أنه سخط عليها وضاق زرعاً بأهلها، فقد أعطى وصفاً صادقاً عنها بكل المقاييس، وكما يقال (الفضل ما شهدت به الأعداء) واصفاً الإنسان (الملاح والسحنة) والنشاط البشري (الزراعة والتجارة الرعي)، والمأكل والمشرب والملبس والمسكن والأثاث والعادات والتقاليد في الأتراح والأفراح (قياساً على المجتمعات المشابهة) كما وصف الحيوان مأكله ومسكنه، ولم يترك حتى الآفات (الفئران)، إلا أنه خلط ذلك ببعض الأوهام المضحكة مثل تفسيره للتحية "لعلك طيب" والتي أبعد النجعة فيها

| م | المظهر                    | الوصف   | ملاحظات                 |
|---|---------------------------|---|-------------------------|
| 1 | الإنسان<br>(الملامح)<br>ح | السلالة/ البدن/ اللون/ القسامات/ القامة/<br>الشفاه/ الأنف/ الوجه/ الساق/ القدم/ الشعر/<br>الشوارب/ اللحي/ الجلد/ اليد/ الخد | سلاسل<br>عربية<br>جميلة |
| 2 | العمران                   | الشوارع/ مواد البناء/ الأسقف/ المروق/<br>الحصير/ البوص/ الميزاب   | اللبن/<br>الآجر         |
| 3 | المسكن                    | الحيشان/ الغرف/ النوافذ (الطاقة)/ الرواكب/ الخيام (الخريف)  | مخازن                   |

(1) أبو سليم، 1992م مرجع سابق ص81

(2) هذا غير الجزء المحذوف من قبل المترجم لشدة سخفه وتجنبيه على المنطقة وأهلها.

|                           |   |    |
|---------------------------|---|----|
| الغلال                    |   |    |
| الضبية<br>والمفتاح<br>(3) | الصاج/ الدوكة/ العنقريب <sup>(1)</sup> (القد) <sup>(2)</sup> / السرير (جريد)/ البرش | 4  |
| طريقة<br>الطحن            | الملاح/ الكسرة/ اللين/ اللحم/ البن/ البلح/ الثريد/ الخبز/ الحساء                    | 5  |
| الانداية                  | البن/ الأبريه/ البوظة/ المريسة/ ام بلبل/ الكأس/ السمن/ القربة                       | 6  |
| ملابس<br>الصبيان          | الفنقة/ الرحط/ الثوب/ الدمور  | 7  |
| أسماء<br>الخيول           | الخيول/ السرج/ الإبل/ الأغنام/ الماعز/ الأبقار/ العلف/ اللبس <sup>(4)</sup>         | 8  |
| القبيلولة                 | التحيا/ الحروب/ الزواج/ المآتم/ الصداق/ الجوازي/ الدلكة/ الكحل/ دهن <sup>(5)</sup>  | 9  |
| وصف<br>الزراعة            | تجارة / طرق الزراعة/ أدواتها/ السماد/ الفيضان/ الرعى                                | 10 |
| الامراض<br>السرية         | الحمي (الوردة)/ الجدي/ التطعيم/ الرمذ/ الجروح/ المجاعات/                            | 11 |
| محاصيل<br>وخضر            | الرباد الإسباني <sup>(6)</sup> / السلفه/ المد/ الدمور/ الضرائب/ البضائع/            | 12 |
| التماثم<br>والاحجية       | حفظ القرآن/ الدامر/ شندی/ المقررات/ الفقراء/ سن الدراسة                             | 13 |

جدول رقم (3) مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في بربر كما وصفها بوركهارت. ففسرها بـ(نعلك طيب) قانلاً "ولعلمهم يريدون هل أنت من القوة

(1) العنقريب كلمة (حبشية) ذكر إنها (بشارية) وتصدر إلى صعيد مصر

(2) عندما تكون سداته من الجلد يسمى بالقد

(3) يصنع من الخشب بتقنية محلية ويسمى المفتاح (الكلب)

(4) درع يقي الحصان في الحرب

(5) يسمى (الكركار) دهن معطر يصنع محليا خاص بالنساء

(6) القسمة=ريالان، المثقال=4ريال، نصف الوقية=8 ريالان، الوقية=16 ريال وهي من عيار الذهب

بحيث تمشى على نعلك ما شئت ان تمشي؟!<sup>1</sup>. ورغبةً في الاختصار وخشية من مغبة الإطالة، اوردنا البيانات في شكل سمات نمطية، ف جاء تدوين ملاحظات الرحالة الغربي في شكل جدول رقم (2). في الحكم المصري (التركية السابقة) أصبحت بربر عاصمة للمديرية، وأحياناً عاصمة للإقليم الذى يمتد من الحد الجنوبي لمديرية دنقلا إلى حدود الخرطوم، وأحياناً أخرى عاصمة للإقليمين (مديرتي دنقلا وبربر) واكتسبت بذلك أهمية إدارية وسياسية.

لما انتعشت التجارة بفضل الإدارة المصرية، وتوسعت الحركة التجارية بين مصر والسودان، وانتعشت تجارة سواكن؛ كان حظها عظيماً في ربط الطرق التجارية؛ إضافة إلى طريق الحج ولاسيما بعد استتباب الامن، أما في المهديّة فقد احتلت حيزاً مرموقاً، لأنها على طريقين لا يتأتى إنقاذ غردون إلاّ بهما، وهما طريق بربر سواكن، وطريق النيل من مصر، أما العهد الثنائي فقد خفت بربقها بعد إنشاء صنوتها وقرينتها في المنطقة مدينة عطبرة (أبوسليم، 1992م: 82)

شكلت مدينة بربر ظاهرة عمرانية متميزة؛ حيث اجتمعت فيها عناصر القوة القبلية والملك، واتساع الاراضي الزراعية مع الوضع الاستراتيجي، وحملت طابع المدن الإسلامية، حيث تقف مبانيها شاهداً على ذلك الدور الثقافي الذى قامت به مدن القوافل العربية، من خلال قوافل التجارة والحجاج والمسافرين، لا جرم أن ذلك الوضع أتاح للقيم الثقافية أن تؤدى دورها بكفاءة نلاحظها فى التراث المادي المتمثل فى عمارة المدينة مثل مسجد المصري الذى ظل قائماً حتى (1977م) ممثلاً الأثر المصري والحجازي فى العمارة الإسلامية، كما أظهر التسامح الديني من خلال الأثر المعماري لبناء الكنيسة<sup>2</sup>. بالإضافة لذلك برز

(1) بوركهارت، 2007م جون لويس. رحلات في بلاد النوبة والسودان. ترجمة فؤاد اندراوس القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص

التراث الخطى الذى مازالت تحتفظ به الأسر العريقة وتحافظ عليه مثل: (الريشاب) (الوهابيب) (الخفاب) (آل البدرى) (الأحمدية) (الشوافعة) (الشكولة) تبين لنا تلك الوثائق ولاسيما وثائق (الشكلي) متانة وعمق العلاقات بين السودان وغرب إفريقيا، حيث شكلت المراسلات أساس هذه الدراسة.

الجانب التطبيقي للدراسة: الدراسة الوثائقية (الدبلوماسية)

وهو الجزء العملى أو الميدان الحقلى التطبيقى للدراسة، يتناول البحث فيه الخصائص والسمات والمميزات للرسائل المدروسة، ويعتمد على أعمال القوانين المتعارف عليها والساندة في نطاق مجال دراسة الوثائق، وذلك باتباعنا الخطوات التالية:

- 1/ تصوير الوثيقة بواسطة الماسح الضوئى (scanner).
- 2/ الوصف الإرشيفى العام الذي يشمل تتبع تاريخ المجموعة ككل.
- 3/ نشر الوثائق وفهرسة الوثائق (القراءة التفصيلية للنص) كالتالى: (أ) تقسيم الوثيقة حسب عدد السطور والفصل بين السطر والآخر بعلامة (/). (ب) التعليق باستخدام الهوامش لتفسير الغامض، وبيان أماكن السقط والسهو والمحو والإلحاق والتصحيح والاختصارات والرموز.
- (ج) الإشارة إلى إضافة ( الباحث ) بعلامة [ ] وعلامة (؟) لكذا و(..) للسقط أوالنقص.
- (د) المقارنة والمقابلة بين مضمون الوثيقة وغيرها من النسخ ولا سيما المطبوع منها.
- 4/ تحليل النص وتقويم المضمون (النقد الداخلى) بصورة مجملّة،
- 5/ التعليق الدبلوماسي: لما كانت الوثائق من أوعية المعلومات التي تحمل شحنة كبيرة من المعلومات والحقائق المضغوطة بخليط من المعلومات تشمل الحياة البشرية بمختلف مظاهرها من النظم الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية والعادات والاعتقادات والتقاليد الدينية والأساليب الفنية والأدبية؛ والمعمارية؛ فضلاً عن الفقه والمعاملات التجارية؛ وما إلى ذلك من عناصر متداخلة يهتم بها علم الوثائق، ويسبر أغوارها، ويستقصى في تفسيرها وتأويلها وذلك يقتضى



ألا ننظر إلى الوثيقة في مجموعها بل يقوم ذلك المنهج على تفتيتها وتجزئتها إلى وحدات، فالنظرة الكلية تمتحن بالمعارف التفصيلية، نرى هذه المجموعة اشتملت على تلك النواحي التي أشرنا إليها حيث تغلب عليها الناحية الأدبية فيظهر هذا الكم من الشواهد والاستشهادات فضلا عن الفقه وعلوم الحديث واللغة.

الوصف الإرشيفي:

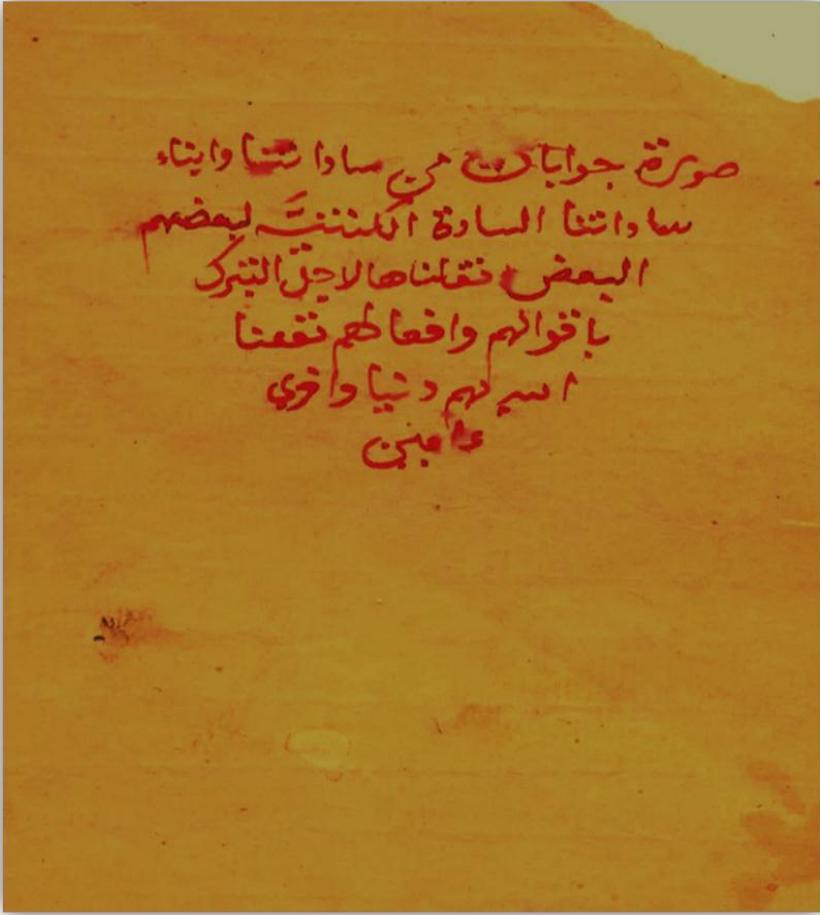
بلغت مجموعة الرسائل (7) خطابات مستلمة من قبل الشيخ زين العابدين بمدينة بربر وهناك رسالة ثامنة واحدة قطعة رقم (2) خطاب من الشيخ زين العابدين (البكاي) إلى والده الشيخ محمد الخليفة أتى بها معه من منطقة ازواد بالإضافة للقطعة التاسعة التي تمثل العنوان، قام الشيخ البكاي ابن الشيخ الوقيع الشكلي (من مواطني مدينة بربر) بنسخها من الخطابات الأصلية التي لا نعرف عنها شيئا من حيث (نوع الورق الذي كتبت عليه والخط والحبر والهوامش والإخراج) فأصبحت هذه النسخ بمثابة الأصل المفقود، وهي وثائق تنشر لأول مرة، آلت للشيخ محمد يوسف الذي كان يعمل في التدريس بصحبة الشيخ الوقيع الشكلي، وبعد أن صاهره صار القيم على الخلوة والمسؤول الأول عن محتوياتها، والذي كان يحافظ عليها بقدسية شديدة، وبعد وفاته عثر عليها ابنه الأستاذ عبد المنعم محمد يوسف، ضمن أوراق أخرى في خزانة والده<sup>1</sup>، وقد اطلع عليها من الباحثين كل من؛ وحيد محمد على عميد المكتبات بجامعة وادي النيل بمعاونة وهبي عبد الفتاح، من خلال إحياء لمشروع علمي يهدف للمحافظة على التراث الخطي بالولاية.

نشر وفهرسة الوثائق:

الهدف من هذا الإجراء أن الوثائق غالبا تكون مكتوبة بصورة لا تمكن القارئ العادي من فك طلاسمها، إذ إنها مكتوبة في عصر غير العصر الذي

1 مقابلة هاتفية مع الأستاذ عبد المنعم محمد يوسف الجمعة 12 رمضان 1437هـ/17/6/2016م الساعة العاشرة مساء

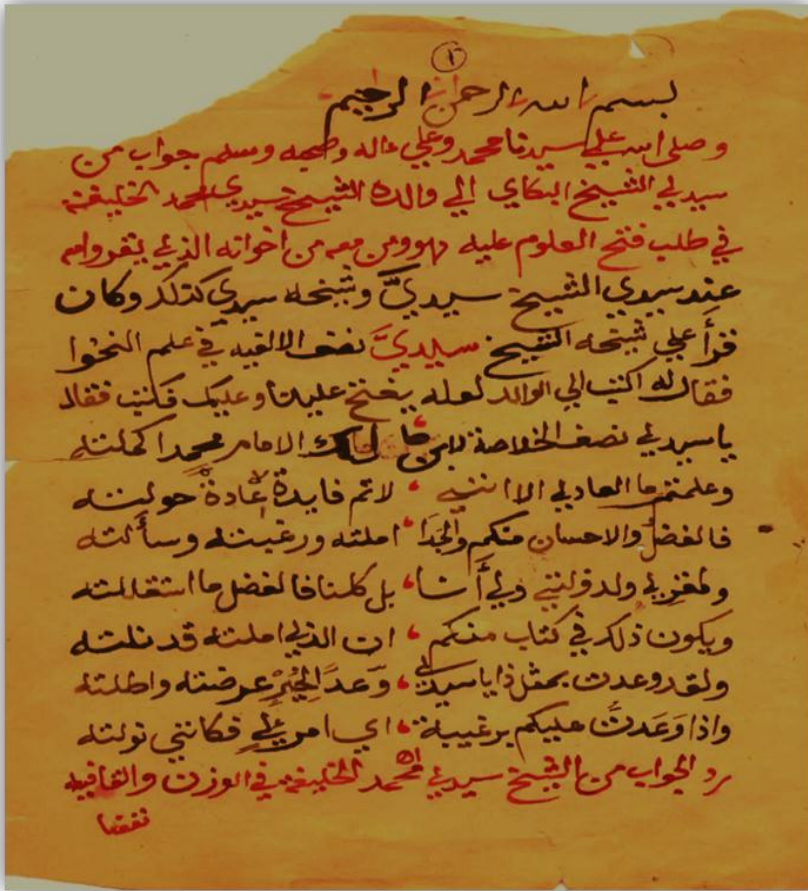
يعيش فيه؛ سواء كان ذلك من جانب الكلمات (اللغة) والمعاني أو من جانب الخطوط وطريقة الكتابة أو بفعل التقادم الزمني، لذلك سنحاول بسط الخطابات للقراءة والتعليق ما أمكن ذلك مسترشدين بالمنهج الوثائقي والملاحظة. حيث قسمت القطعة إلى سطور يفصل بينها بعلامة (/) لميز القارى بين بداية كل سطر فى الوثيقة والذي يليه. أما فهرسة الوثيقة، بمعنى تسجيل بيانات الوصف المعرفة بالوثيقة: الشكل، المقاس، والمصدر والمكان والزمان والارقام ونوع الخط، ونوع التصرف وما إلى ذلك فإكتفينا بالوصف العام لأن الوثائق موضوعها واحد وناسخها واحد، وهى صورة منسوخة من الأصل المفقود كما بينت ذلك القطعة رقم (1) التي وسمت ب (العنوان)



قطعة رقم (1) نسخ خطابات السادة الكنتية<sup>1</sup>  
صورة<sup>2</sup> جوابات من ساداتنا وأبناء/ ساداتنا السادة الكنتية بعضهم/ البعض نقلناها  
لأجل التبرك/ باقوالهم وفعالهم نفعا/ الله بهم دنيا واخرى/ آمين.

1 جاءت القطعة الاولى بمثابة صفحة العنوان موضحة حقيقة العمل نسخة (صورة) من الخطابات الاصل

2 يقصد نسخة



قطعة رقم (2) خطاب من الشيخ أحمد (البكاي) إلى والده الشيخ محمد الخليفة

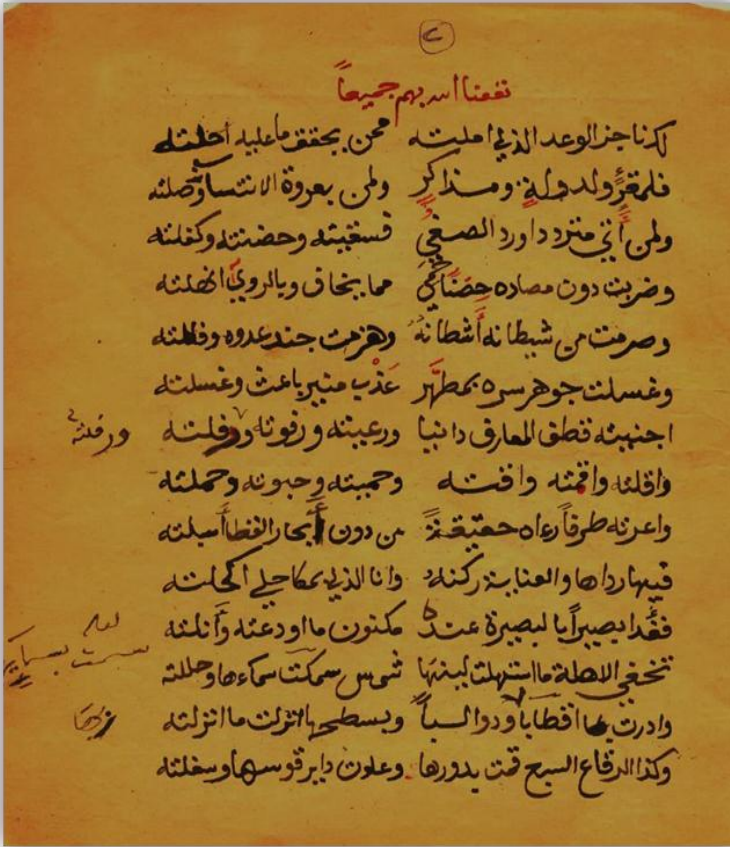
بسم الله الرحمن الرحيم/ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله<sup>1</sup> وصحبه وسلم

1. يكتب (آلة) بهمزة ثم الف (ءاله) هكذا

جواب من/ سيدي الشيخ البكاي<sup>1</sup> الى والده الشيخ محمد الخليفة في طلب فتح العلوم عليه هو ومن معه من إخوانه الذين يقرأون<sup>2</sup>(؟) // عند سيدي وشيخه سيدي كذلك وكان قرأ على شيخه الشيخ سيدي نصف الالفية في علم النحو/ فقال له اكتب إلي الوالد لعله يفتح علينا وعليك فكتب فقال/

يا سيدي نصف (الخلاصة)<sup>3</sup>(لابن مالك) الإمام محمد أكمته/  
وعلمتوا ما العاد إلا أنني لأتم فائد عادة حولته/  
والفضل والإحسان منكم والجدا أملتة ورعيته وسألته/  
<sup>4</sup>ولمقربى ولدولتي ولي أنا بل كلنا فالفضل ما استلته<sup>5</sup>/  
ويكون ذلك في كتاب منكم إن الذي أملتة قد نلته/  
ولقد وعدت بمثل ذا ياسيدي وعد الخير عرضته وأطلته/  
وإذا وعدت عليكم برغيبية أي أمر لي فكأنني قد نلته/

- 
1. يظهر من هذه العبارة انها ليست من اصل الخطاب كما ان مكان كتابتها ليس مدينة بربر لان الامتاذ الذي درس عليه وجرت بينها هذه الملح والطرائف كان في بلاد شنقيط وهو الشيخ سيديا
  2. كتبت خطأ لانبرى من المكاتب الاصلى ام من الناسخ
  - 3 الالفية في النحو للعلامة جمال الدين أبي عبدالله الطائي الجبائي المعروف بابن مالك النحوي المتوفى 672هـ وهي مقممة مشهورة، اشتهرت بالالفية، لأنها ألف بيت في الرجز أولها: قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك نشرها كثيرون وترجمها المستشرق "بنتو" إلى الفرنسية، وطبعت مع الأصل العربي في الأستانة 1887م، وقد شرحها الكثير من النحاة.
  - 4 هنا بيت محذوف ورد في المطبوع كذا: ولقد وعدت بمثل ذا ياسيدي وعدا لخير قد عرضته وأطلته
  - 5 من هنا وما يليه (4 ابیات) ليست في المطبوع



رد

آه/

الجواب من الشيخ سيدي محمد الخليفة في الوزن والقافية/ نفعنا الله بهم جميعاً<sup>1</sup>/  
 قطعة رقم (3) رد خطاب الشيخ سيدي (محمد الخليفة) على ابنه الشيخ (البكاي)

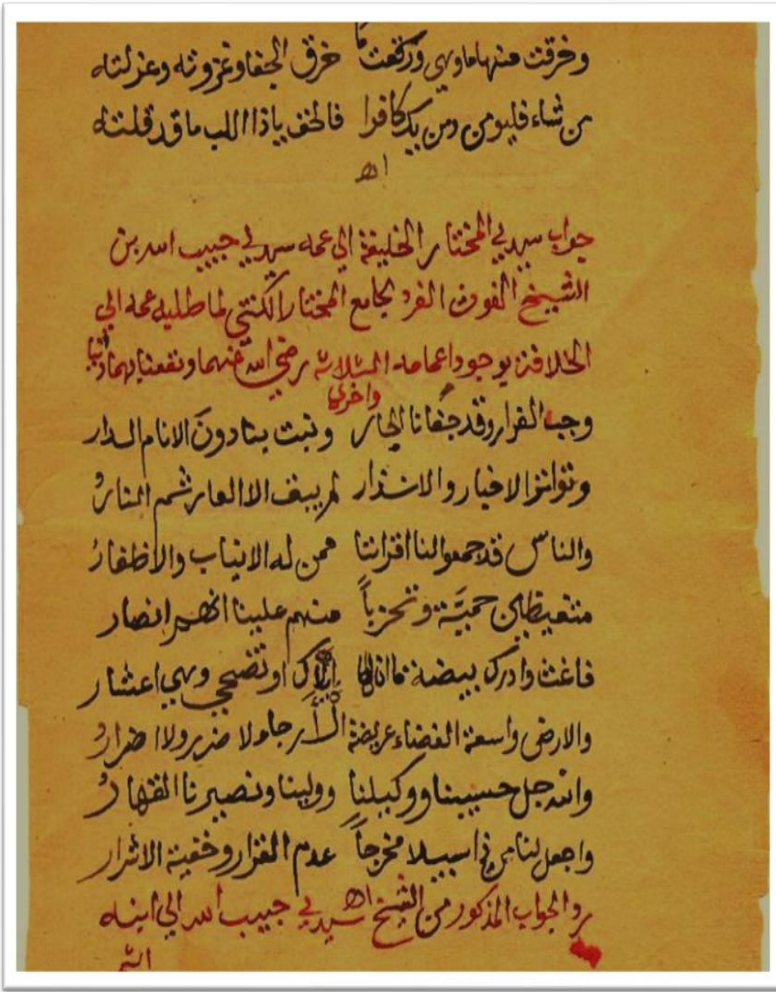
واستأذنه سيديا

لك ناجز الوعد الذي أملتة ممن يحقق ما عليه أملتة/  
 ولمقرئ ولدولة ومذاكر ولمن بعروة الانتساب وصلته/  
 ولمن أتى متوردا ورد الصفا فسقيته وحضنته وكفلته/  
 وكذا الرفاع السبع قت يدورها وعلون ديار قوسها وسخلته

1 هذه العبارة من الناسخ

وضريت دون مصاده حصنا      حمى مما يخاف وبالروا أنهلته/  
وصرمت من شيطانه أشطانه      وهزمت جند عدوه وقللته/  
وغسلت جوهر سره بمطهر      عذب منير باعث وغسلته/  
أجنيته قطف المعارف دانيا      ورعيته ورفوته ورفاتيه<sup>1</sup>/  
وأقلته وأقمته وأقتيه      وحميته وحبوته وحماتيه/  
وأعرتة طرفا أراه حقيقة      من دون لائحها الغطاء سبلته/  
فيها رآها والعناية ركنه      وأنا الذي بمكاحلي أكلته/  
فعدا بصيرا بالبصيرة عنده      مكنوز ما أودعته وأنلته/  
تخفي الأهله ما استهلته بينها شمس سمكت سماءها وحللته/  
وأدرت أقطابا بها ودوالبا      وبسطحها أنزلت ما نزلته/  
وكذا الرقاع السبع قمت بدورها      فعلوت دائر قوسها وسفلته/

1 كتبها في الهامش إلحاقا



قطعة رقم (4) خطاب الشيخ المختار سيدي الخليفة إلى عمه الشيخ حبيب الله بن المختار

وخرقت منها ما وهى ورفعت ما خرق الجفا وغزوته وغزلته /  
 من شاء فليومن ومن يك كافرا فياذا اللب ما قد قلته /  
 اه

جواب سيدي المختار الخليفة إلى عمه سيدي حبيب الله ابن الشيخ الغوث الفرد



الجامع المختار الكنتى لما طلب عمه للخلافة بوجود أعمامه الثلاثة رضى الله عنهما  
ونفعنا بهما دنيا/ وأخرى/

وجب الفرار وقد جفانا الجار ونبت بنا دون الأنام الدار/

وتواتر الأخبار والانزار لم يبق إلا العار ثم النار/

والناس قد جمعوا لنا أقراننا ممن له الأنياب والأظفار/

متغيظين حمية وتحزبا منهم علينا أنهم أنصار/

فأغث وأدرك بيضة ما أن لها إيلاك أو تضحى وهى عشار/

والارض واسعة الفضاء عريضة الأرجاء لا ضرر ولا أضرار/

والله جل حسيننا ووكيلنا وولينا ونصيرنا القهار/

وجعل لنا من ذا سبيلا مخرجا عدم القرار وخفية الأشرار/

رد الجواب المذكور من الشيخ سيدى حبيب الله إلى ابنه الشيخ<sup>1</sup>

قطعة رقم (5) صورة جواب من الشيخ حبيب الله الى ابن اخيه الشيخ المختار الخليفة  
الشيخ المختار الخليفة نفعنا الله بهما دنيا واخري

ياثمرة<sup>2</sup> الألباب يا مختار هون عليك فلأمر قرار/

وأقبل نصيحة والد صنوله مستشفعا نبينا المختار/

وإذا سمعت وصيتى ونصيحتي اسعدت فى الدارين لا تمتاز/

فاعلم بأن الله ليس لغيره نفع ولا ضرر ولا أظفار/

واسلك سبيل أولى التقى وطريقهم واترك طريقا حشوه الفجار/

واصبر فإن الله أوعد حزبه بالقرب يا نعم الإله الجار/

فالله عدتنا وحسبي حصننا مما يغير ديننا إخفار/

متوسلا الشيخ ثم بامنا وبضونا ذى الرحمة النوار/

1 كتبت كتعقبة لتظهر فى القطعة التالية

2 كتبها اول الفؤاد على ما جرت به العادة وكما ورد فى الحديث (قبض ثمرت فواده) ورد فى صحيح الترمزى ومسند الامام احمد.

وبباقى إخوته عليهم رحمة تنهل من فضل الكريم البار/

صورة / جواب من الشيخ سيدي أحمد البكاي إلى سيدي وأستاذي الشيخ زين العابدين رضى الله عنهم أجمعين أمين/ الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده من/ عبد ربه أحمد البكاي بن محمد المختار بن أحمد بالسلام والإكرام كما يرضى ونرضى إلى اخينا وحبينا وقرّة أعيننا

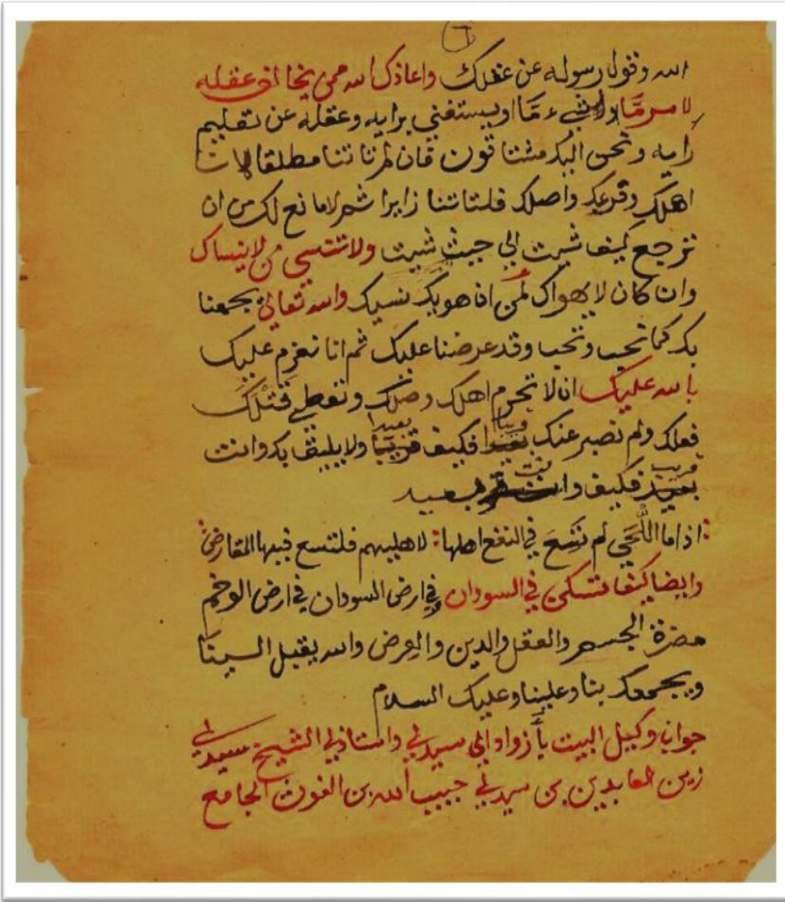
قطعة رقم(6) صور جواب من الشيخ أحمد البكاي إلى الشيخ زين العابدين السيد زين العابدين بن الولي المشهور سيدنا حبيب الله/ بن النسب ويعد فاما تراء الرجال للعظام وقد بلغنا/ أنك قلت إن لم يتغير ازواد عن ما عهدت فيه لا تأتيه/ ومثلك من يصلح ويطلب للإصلاح ويدعى للعظام ويرجى للملمات والرجال رجال الشدايد وأما باقي الرخا/ فكل ذكر رجل1 واما أثار الناس بنهم بالفرح عند ولادتهم عن بناتهم إلا لعنايتهم في مثل هذا2 وكفايتهم لمثله وإلا فابن الابن والبنات كل منهما من الكبد وإنما نريدك للشدة/ وفي الشدة وأما في غيرها نحبك فقط وأيضا قال الشاعر/ فليس امرأ أفنى الشباب مجاورا سوي حيه إلا كآخر هالك

فتعال إلينا ان كنت تنفع فانفعنا فإننا أحق بنفك/ وإن كنت تدفع فادفع عنا فإننا أولي بدفك ولا يضيع عملك في غير أهلك فإن الحسنة فيهم أكثر وأكبر فهم/ خير لك في الآخرة وقد اکتفينا هذا من الكلام لغنينك بعقلك عنه ثم غنيتك بكلام/ الله3  
قطعة رقم(7) صور جواب من الشيخ أحمد البكاي إلى الشيخ زين العابدين

1 سقطت فأتى بها في الهامش اليمين

2 سقطت فأتى بها بقلم مختلف اعلى السطر عند التصحيح

3 جاء لفظ الجلالة كتعقيبة لما بعدها ليبدأ بها السطر الاول في القطعة التالية



الله وقول رسوله عن عقلك واعاذك الله ممن يخالف عقله/ لأمر ما أو شيء ما أو  
 يستغني برأيه وعقله عن تعليم/رأيه ونحن إليك مشتاقون فإن لم تاتنا مطلقا لانا/ اهلك  
 وفرعك وأصلك فلتاتنا زائرا م لا مانع لك من أن/ ترجع كيف شئت إلى حيث شئت ولا  
 تنس من لا ينسك/ وإن كان لا يهواك لمن إن هو بك نسك<sup>1</sup> والله يجمعنا/ بك كما  
 نحب وتحب وقد عرضنا عليك ثم إنا نعزم عليك/ بالله

1 لم نتيين المقصود بهذه الالفاظ المتكرره

عليك<sup>1</sup> أن لا تحرم أهلك وصلك وتعطي قتلك/ فعلك ولم نصبر عنك قريبا فكيف بعيدا  
ولا يليق بك وأنت/ قريب فكيف وأنت بعيد<sup>3</sup>  
إذا اللحي لم تسع في النفع أهلها لأهليهم فلتسع فيها المقارض<sup>4</sup>  
وايضا كيف تسكن في السودان، وفي أرض السودان، في أرض الوخم/ مضرة للجسم  
والعقل والدين والعرض والله يقبل إلينا/ ويجمعك بنا وعلينا وعليك السلام/ جواب وكيل  
البيت بأزواد إلى سيدي واستاذي الشيخ

---

1 كل اساليب التوسل والاستغاثة

2 كتبها خطأ فسترها على السطر عند التصحيح لان قلمها مختلف

3 وهذا الاضراب من شدة الشوق والوجد حتى ان هذا الناسخ المتأخر ايضا اطرب في كتابتها

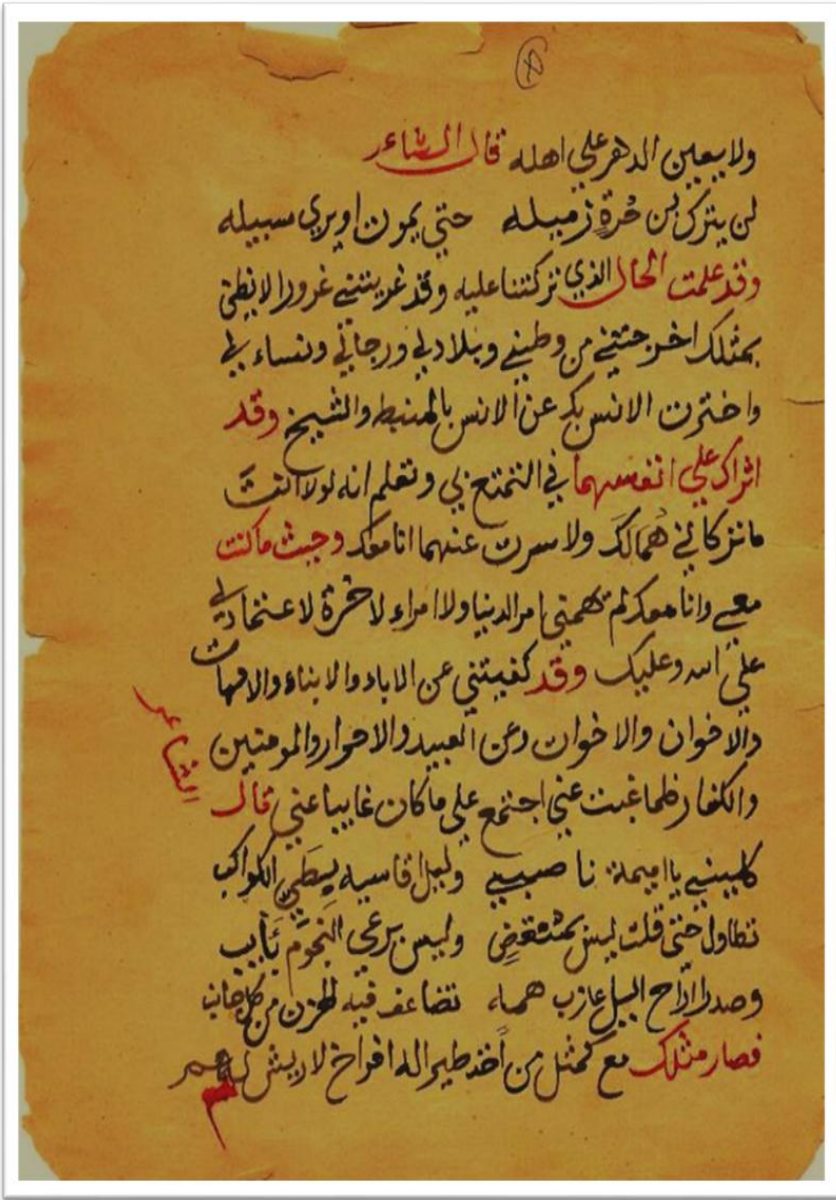
4 هذا البيت في ديوان الشاعر المغربي ابن رازكه ص33



سيدي/ زين العابدين بن سيدي حبيب الله بن الغوث الجامع

قطعة رقم (8) صور جواب من الشيخ أحمد البكاي إلى الشيخ زين العابدين  
 يدى المختار نفعا الله بهما فى هذه الدار وفي تلك الدار/ صورة الجواب سنة 1265/  
 الحمد لله وكفى وصلاته على المصطفى تبليغ السلام/ وغاية التحية والإكرام ما تعاقب  
 الضوء والظلام ويح/ الرعد فى الغمام وفتح من الأزهار الأكمام إلى قرة عيني / ومذهب  
 وحشة بيتي فلذة الكبد وانسان العين والورد/ ثمرة الفواد وخلصاة الحب والوداد مطلع  
 سعدنا/ ومشرع وردنا اليد الأسعد الأتلد

الأنجد الأمد/ ابننا وأخينا زين العابدين ابن أبينا يدي حبيب/ الله بين شيخنا يدي  
المختار قضي الله لنا وله جميع/ الأوطار واعدنا وأياه في هذه الدار وفي تلك الدار  
وجمعنا/ وإياه في أقر القرار وتمعنا برويته بعد ففوله من حجته/ أما بعد يا حبيب العين  
فلتعلم أنا والله الحمد على خير وعافيه/ وعسى أنت كذلك سوي ما فجعنا به من طول  
غيبتك/ عنا عن شدة احتياجنا إليك وعدم استغنائنا عنك/ عن طرفة عين وأنت مثلك من  
يعين أهله على الدهر



قطعة رقم (9) صور جواب من الشيخ أحمد البكاي إلى الشيخ زين العابدين

ولا يعين الدهر على أهله قال الشاعر: /لن يترك ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى  
سبيله<sup>1</sup>/

وقد علمت الحال الذي تركتنا عليه وقد غريتني غروراً لا يليق/ بمثلك أخرجتني من  
وطني وبلادى ورجالي ونسائي/ واخترت الأُنس بك عن الأُنس بالمنبسط<sup>2</sup> والشيخ وقد/  
آثراك على انفسهما فى التمتع بى وتعلم أنه لولا أنت/ وماتركانى هما لك ولا سرت  
عنها أنا معك وحيث ما كنت/ معي وأنا معك لم يهمنى أمر الدنيا ولا أمر الآخرة  
لاعتمادي/ على الله وعليك<sup>3</sup> وقد كفيتني عن الآباء والأبناء والأمهات/ والإخوان  
والأخوات وعن العبيد والأحرار والمومنين/ والكفار فلما غبت عنى اجتمع علي ما كان  
غائباً<sup>4</sup> عني قال/ الشاعر<sup>5</sup>  
كلينى ياأميمة ناص بى وليل اقاويه بطيء الكواكب/

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس من

يرعى النجوم بأيب/

وصدرا أراح الليل<sup>6</sup> عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب/

فصار مثلك مع<sup>7</sup> مثل من أخذ طيرا له أفراخ لا

1 وقاله أبو البخترى وهو ينزل المجذر لا والله إذا لاموتن أنا وهو جميعا لا يتحدث عني نساء قريش بمكة أني تركت زميلي

حرصا على الحياة. فى (البداية والنهاية) و(السيرة) لابن اسحق

2 لم ندرك معناها يحتمل ان تكون لفظة محلية مستخدمة للوالدة (الام)

3والاصوب ان يأتى ثم؟!

4اثبت الياء

5اثبتتها باللون الاحمر على الهامش .

الابيات من الشعر الجاهلي للناطقة الذيبانى وصدر أي: وكلني أيضا لصدر. وأراح الليل: من الرواح, وعازب: غائب, والمعنى :

دعني أيضا وصدرى المتضاعف الحزن, الذي أرجع هذا الليل ما كان غائبا من همه. ثم اقتضب الكلام اقتضابا وشرع في مدح عمرو بن الحارث, فقال: علي لعمرو.

6اسقط اللام الاخرى لليل(؟)

7اراد معى فكتبها الكاتب او الناسخ مع واثبتناها كما هي



والطير مقصوص الجناحين اخذهم من عشهم والقاهم في  
في صحراء حموافغراء **والان الله عليك** لا لبيننا عننا  
ليلة ان كانت لك و بنا و بنيد الصغار الذي تعلم حاجتهم  
اليد اتق الله فينا فاننا حرك و دمك و لحمك **النت**  
معروف بلانا و نحن لا نعرف الابكمان ذكرنا و حمدت  
بحرنا و ظهر فقرنا **وان الله تعالي** يسأل عن صحة ساعة  
**وقال صلوا عليه وسلم** صحة ساعة صحبه و صحبة  
شهر عهد و صحبة سنت دم و لحم قطع الله من قطعها  
و وصل من وصلها فانتا و اذهب بنا حيث شئت فقد  
قطعنا عنك فلا عنك بعد هذا لا نجعل علينا فان الله  
وانا اليه راجعون  
الله و بالله التوفيق على ربك انما احمد الجاي بن محمد الوقيع احمد الخط  
١٢٤٧

ريش لهم 1/

قطعة رقم (10) صور جواب من الشيخ أحمد البكاي إلى الشيخ زين العابدين والطير مقصوص الجناحين أخذهم من عشهم وألقاهم في<sup>1</sup> صحراء حمراء قفراء والآن الله الله عليك لا تبيت عنا/ ليلة إن كانت لك<sup>2</sup> بنا وبينك الصغار الذي<sup>3</sup> تعلم حاجتهم/ إليك اتق الله فينا فانا رحمك ودمك ولحمك أنت/ معروف بلادنا ونحن لانعرف إلا بك<sup>4</sup> مات ذكرنا وخدمت جمرنا وظهر فقرنا وإن الله يسأل عن صحبة ساعة/ وقال صلى الله عليه وسلم صحبة ساعة صحبة وصحبة/ شهر عهد وصحبة سنة دم ولحم قطع الله من قطعها ووصل من وصلها<sup>5</sup>، فأتنا واذهب بنا حيث شئت فقد قطعنا عذرك فلا عذر لك بعد هذا<sup>6</sup> ولا تعجل علينا فإنا لله وإنا إليه راجعون/ اه وبالله التوفيق<sup>7</sup> علي يد كاتبه أحمد البكاي بن محمد الوقيع أحمد محمد الشكلي.

التعليق الدبلوماسي:

وهو هنا التعبير النقدي عن الشكل والمضمون، فالواضح أن هذه الخطابات منسوخة من الأصل بخط اليد، وجاءت كتابتها تباعا على هيئة السجل التقريري، وليس كل خطاب على حده، كما هو متوقع، شملت النصوص شواهد من الكتاب والسنة وآثاراً وأشعاراً، اضاف الناسخ من تلقاء نفسه عدة عبارات وتعبيرات ليست في النص الأصل في شكل تعليقات، مثل(نفعنا الله بهم جميعا) (نفعنا الله بهم في الدارين) (دنيا واخرى)ومن المظاهر الدبلوماسية استخدام التعقيب في نهاية الصفحة، كذلك من الملاحظات الدبلوماسية استخدام الهوامش

1 كرر في سهواً في نهاية السطر وبدأ بها السطر التالي

2 اخطا الناسخ في زيادة واو ثم تراها

3 الذين كتبها الذي ربما على اعتبار ان الاشارة الى الحاجة

4 هذه العبارات وما بعدها تلل على اهمية الرجل مكانته في الاسرة والبلد عامة

5 لم ننف على الحديث بهذا السياق في مصادر كتب الحديث حتى الحديث الموضوع

6 يفهم من هذا انهم وافقوا على الشروط و الاسباب التي لاجلها اختار عدم العودة

7 هذه عبارات الناسخ

للتصحيح، فأحيانا يستخدم الهامش الأيمن وأحيانا الأيسر، وحرد المتن (colophon) أحيانا كما فى القطعة رقم (1) ما عدا الأسفل، أما الورق المستخدم فهو ورق الجابر وهو المتوافر فى ذلك الزمان والمكان؛ الذى يستخدم فى كتابة المصاحف. أما الخط فهو خط... مقروء وواضح وجميل كتبه بعناية تتم على الاهتمام بهذا الموروسات التى تصل حد القدسية، والمراجعة والتصحيح تدل على تلك العناية التى أَرادها الناسخ البكاي (السوداني) والتي صادفت شيئاً فى نفسه، تاريخ النسخ واسم الناسخ ورد فى القطعة رقم (10) على يد كاتبه أحمد البكاي بن محمد الوقيع أحمد محمد الشكلي، 1327هـ،

#### مناقشة النتائج

أدى ملتقى التواصل الفكرى النخبوي فى موسم الحج إلى وحدة حقل ثقافى قوامه "رحلات علمية وإجازات واستجازات وتبادل على مستوى الإفتاء والاستفتاء مما يدل على تشابه المعطيات والنوازل و وحدة أدوات التفكير والاجتهاد، والمشاكل الفكرية. لذلك سعت الدراسة إلى إبراز الرحلة الحجازية كأهم عوامل الوحدة الإسلامية من خلال الدراسة الدلوماتيكية؛ لذلك لجأ الباحث فى تحقيق النصوص إلى مضاهاة النصوص بالمصادر الإسلامية والأدبية لاختبار صدقها، وقد اثبت البحث اتفاق الكثير من الأحداث التاريخية من خلال المصادر فعلى سبيل المثال القطعة رقم (2) أشارت إلى منظومة مشهورة عرفت بالألفية فى النحو للعلامة جمال الدين أبى عبدالله الطائى الجباني المعروف بابن مالك النحوي المتوفى 672هـ، وهي مقدمة مشهورة، جمع فيها مقاصد العربية وسماها "الخلاصة" فى علمى النحو والتصريف، أخذها ابن مالك من الكافية الشافية، صاغها فى أرجوزة لطيفة؛ مع الإشارة إلى مذاهب العلماء، وبيان ما اختاره من الآراء أحيانا، إذ كثر إقبال العلماء على هذا الكتاب من بين كتبه، اشتهرت بالألفية، لأنها ألف بيت فى الرجز أولها:

قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك

نشره كثيرون وترجمها المستشرق "بنتو" إلى الفرنسية، وطبعت مع الأصل العربي في الأستانة 1887م، وقد شرحها الكثير من النحاة. كذلك تم الاستشهاد بأبيات من الشعر الجاهلي للنابغة الذبياني في مدح عمرو بن الحارث، بالقطعة رقم (9): كليني يا أميمة ناصبي وليل اقاسيه بطيء الكوكب تناول حتى قلت ليس بمنقضي وليس من براعي النجوم بأيب

ولما كان من مطلوبات أداء شعائر الحج الحضور المادي (الفيزيائي) ومبارحة الأوطان والانتقال قصدا إلى بيت الله الحرام والبقاع المقدسة، ترتب على ذلك المرور بالكثير من المشاهد والشواهد التي ينتفع منها الإنسان (ليشهدوا منافع لهم ويذكوا اسم الله) ونلاحظ من خلال مسيرة الرحلة الحجازية كيف قامت المدن ونشأت العلاقات



وتكونت الروابط الثقافية، ومن أهمها في الطريق الإفريقي مدينة بربير، التي تحظى بسبب هذا الموقع التجاري بتباين ديمغرافي إثني، وتزواج حضاري بين الريف والحضر مما أدى إلى حضور ثقافي متميز، شكل عنصر جذب للنخب من المشايخ والعلماء الذين رقدوا المنطقة بتراث مادي وخطي مشهود. وقد يعني الشكل الرقم (1) عن كثير العبارات، إذ يظهر المحاور الأساس لهذه الدراسة (السادة الكنتية، مدينة بربير، العلاقات والروابط الثقافية للرحلة الحجازية). والفضل

يرجع للدراسة الوثائقية وعلم الدبلوماسية.

شكل رقم (1) يوضح العلاقات والروابط الثقافية للرحلة الحجازية (تصميم الباحث)  
نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

1/ أكد البحث الوثائقي فاعلية المنهج الدبلوماسي في نقد وتحقيق النصوص التاريخية.

2/ كشفت الدراسة أهمية التواصل والاتصال الثقافي بين أقطار ومدن وعلماء الأمة الإسلامية.

3/ عكست المدونات والآثار الخطية الكنتية العلاقات والروابط الثقافية للرحلة الحجازية

4/ بعد التحقق من صحة الأصول باتت النسخ- التي أضفت عليها الصلوات الروحية أبعاداً توثيقية مقدر- محل الأصول المفقودة؛ فعدت شاهدا حيا ودليلاً ملموساً على متانة العلاقات وتماسك البنيات بين بيئات متباينة في أطراف العالم العربي الإسلامي .

5/ برزت مدينة بربر كنموذج للمدينة الإسلامية، ومحطة من أهم محطات طريق الحاج الإفريقي؛ في استقطاب وجذب العابرين من المشائخ والعلماء أمثال الشيخ زين العابدين الكنتي

6/ توفر السادة الكنتية على قدر وافر من التراث الفكري الرصين في شتى ضروب المعارف

العربية والإسلامية، تجاوز مرحلة الإقليمية إلى العالمية.

7/ أثرت الرحلة الحجازية فضاءات الثقافة العربية، بتوفير أهم أدوات التفاعل والإندماج لتعزيز وتعضيد الوحدة الإسلامية.

8/ أسهمت الرحلة الحجازية في دعم حركة العلوم العربية الإسلامية وانتقال مصنفاتها وإجازات منتجها ومستهلكها من العلماء والطلبة.

9/ أضفت الرحلة الحجازية لونا خاصا كإضافة نوعية ورافدا لأدب الرحلات في

أفريقيا.

التوصيات: على ضوء مآظهر من نتائج توصي الدراسة بالآتي:

- 1/ توثيق الرحلة الحجازية وتتبع مسارها من العمق الإفريقي إلى سواحل البحر الأحمر باستخدام شتى الوسائط ولا سيما الأفلام التسجيلية.
- 2/ بذل المزيد من العناية والإهتمام بالتراث المادي والمخطوط لمدينة بربر باستنفار الجهود الرسمية والشعبية تحت مشروع مدينة بربر عاصمة الثقافة الإسلامية.
- 3/ حث مؤسسات رعاية التراث من وزارات التعليم العالي والثقافة، ومنظمات المجتمع المدني الإقليمية والعالمية على التعاون المشترك لإنقاذ ونشر وتحقيق التراث العربي الإسلامي.
- 4/ إقامة ندوة إقليمية دورية لبعث ويحث قضايا التراث العربي الإسلامي بالقارة الإفريقية عامة ومنطقة شمال الصحراء الكبرى على نحو أخص.

قائمة المصادر والمراجع

- 1/ أبوسليم، 1968م محمد إبراهيم. مخطوط في تأريخ مؤسس الختمية " الإجابة الإبانة النورانية في شأن صاحب الطريقة الختمية مولانا محمد عثمان الختم" مجلة الدراسات السودانية شعبة أبحاث السودان/ كلية الآداب جامعة الخرطوم. العدد الاول ص ص ( 36-44)
- 2/ ———، 1991م محمد إبراهيم. أحمد بن ادريس الرباطي، كتاب الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية، أحمد بن ادريس الرباطي، بيروت.
- 3/ أرسلان، 1350هـ شكيب. الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، وقف على تصحيحها وعلق على بعض حواشيها الشيخ محمد رشيد رضا، مطبعة المنار
- 4/ أبومنقعة، 2008م الأمين. رحلات الحج وآثارها الاجتماعية والاقتصادية في السودان وادي النيل// مجلة الدراسات السودانية مج(14)، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم.
- 5/ بوركهارت، 2007م جون لويس. رحلات في بلاد النوبة والسودان. ترجمة فؤاد

- اندرأوس القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- 6/ ترمنجهام، 2001م سبنسر. الإسلام في السودان. تأليف سبنسر ترمنجهام، (ترجمة) فؤاد محمد عكود. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- 7/ الحسن، 1999م عبد القيوم عبد الحليم. الخلافة الصكيتية في مخطوطات ومطبوعات دراسة ببلوجرافية ببليومترية، (ماجستير) غير منشورة، إشراف د. الرضية آدم محمد، د. زين العابدين عبد الحميد السراج مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية
- 8/ حمودة، 1999م محمود عباس. المدخل إلى دراسة الوثائق العربية. - القاهرة: دار غريب.
- 9/ السعدى، 2000م عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، القاهرة: فخر للطباعة.
- 10/ الصاق، 2007م صلاح عمر. دراسات سودانية في الآثار والفلكلور. الخرطوم: دار عزة
- 11/ صادقي، 2012م حسن. مساهمة كنتة في الحياة الثقافية والسياسية. الرباط: معهد الدراسات الإفريقية جامعة محمد الخامس السويسي (بحوث ودراسات الإصدار رقم 16)
- 12/ ضناوي، 1985م محمد علي. - حضارة الإسلام بين التحدي والتعطيل // الإسلام والحضارة. - الرياض : الندوة العالمية للشباب الإسلامي .
- 13/ الطيب، 1991م محمد الطيب .- المسيد، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر.
- 14/ العطا، 2000م عوض عبد الهادي. الرحلة الحجازية وأثرها العلمي على إفريقيا//دراسات إفريقية ع (23)، مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية.
- 15/ عوض الكريم، 2014م معتصم الحاج. وثائق الغبش بولاية نهر النيل بالسودان: دراسة ديبلوماتيكية رسالة (دكتوراه) غير منشورة، إشراف د. النسر عبد الفضيل سليم، جامعة أدمرمان الإسلامية.
- 16/ مارثي، 1985م بول. كنتة الشرقيون (ترجمة) محمد محمود ودادي دمشق: دار زيد بن ثابت
- 17/ محمد الحسن، 2004م محمد سعيد. اكتشاف أقدم مدينة لقوافل الحج بشمال



السودان احتفظت بالمعمار الإسلامي وخالوي تعليم القرآن للنساء، جريدة الشرق الأوسط

18/ المنجد، 1976م صلاح. فهرسة المخطوطات العربية. بيروت: دار الكتاب الجديد، ط. 2.

19/ الهندي، 1979م المنقي. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت: مؤسسة الرسالة.

20/ O'FAHY ALbricht, Ali Salih, KARRAR

= رسائل أحمد بن إدريس HURST & COMPANY, LONDON,

21/ 2016 mawdoo3 //http:// mawdoo3.com, معجم المعاني الجامع

تاريخ الاطلاع 2016 /6/15م